

أثر الهجرات البشرية في تشكل سكان ليبيا القديمة (من عصور ما قبل التاريخ حتى العصور التاريخية)

د. فاطمة ابوالقاسم السعداوي*

كلية الآداب والعلوم بدر ، جامعة الزنتان ، ليبيا

Fatima alsaedawi@uoz.edu.ly

تاريخ الارسال 2026/1/12م تاريخ القبول 2026/2/2م

The Impact of Human Migrations on the Formation of Population Structure of Ancient Libya (From Prehistoric Times to Historical Periods)

Dr.Fatima Aboulqasim Alsaedawi

Faculty of Arts and Sciences, Badr Campus-University of Zintan

Fatima alsaedawi@uoz.edu.ly

Abstract

This study addresses the scientific debate surrounding the origins of ancient human migrations, with particular emphasis on the location of ancient Libya. The diversity of archaeological, anthropological, and genetic approaches has contributed to the emergence of multiple interpretations concerning the origins and early trajectories of human migrations. Among the most prominent of these are the “Out of Africa” hypothesis and the theory of multiregional evolution, in addition to the Near East as a pivotal corridor and early center of human interaction. Within this context, ancient Libya emerges as a key geographical and cultural nexus linking sub-Saharan Africa with the Sahara, the Nile Valley, and the Mediterranean Basin. Archaeological and environmental evidence indicates that Libya lands were not merely peripheral to early human movements; rather, they constituted active routes for the passage and settlement of human groups during prehistoric periods. Is particularly evident during more humid climatic conditions, allowing for human mobility, adaptation, and cultural interaction.

Rock art, lithic industries, and other material remains found in the Libya Sahara reflect dynamic interactions among diverse human groups and reveal patterns of cultural exchange and technological development. These interactions contributed to the formation of distinct cultural characteristics shaped by migration, settlement, and adaptation to the desert environment. Consequently, ancient Libya played a significant role in the development of human diversity, settlement patters, and cultural transformations within the Sahara and its surrounding regions.

Keywords;

Ancient human migrations-Population structure-Ancient Libya.

الملخص:

يتحدث هذا البحث عن الجدل العلمي حول مهد انطلاق الهجرات البشرية القديمة، مع إبراز موقع ليبيا القديمة. فقد أسهم اختلاف المناهج البحثية الأثرية والأنثروبولوجية والوراثية في ظهور تفسيرات متعددة لأصول الهجرات البشرية ومساراتها الأولى، كان أبرزها نظرية الخروج من أفريقيا، ونظرية التطور متعدد الأقاليم، إضافة إلى الفرضية التي تؤكد دور الشرق الأدنى كمجال عبور ومحطة تفاعل بشري مبكرة. فيما تبرز ليبيا القديمة بوصفها إقليمًا وسيطًا ذا أهمية استراتيجية، بحكم موقعها بين إفريقيا جنوب الصحراء، ووادي النيل وحوض المتوسط. وتشير الشواهد الأثرية والمناخية إلى أن الأراضي الليبية لم تكن هامشية في حركة الإنسان القديم، بل شكلت مجالًا نشطًا لعبور الجماعات البشرية واستقرارها خلال الفترات المطيرة من عصور ما قبل التاريخ، خاصة الصحراء الكبرى. وتعكس الأدلة الثقافية، ولا سيما الصناعات الحجرية والرسوم الصخرية، وجود تفاعل بين جماعات محلية وأخرى وافدة، مما أسهم في تشكيل بنية سكانية ذات خصوصية ناتجة عن الاستمرارية والتداخل البشري، تشكلت عبر مسار تراكمي طويل، ما نتج عنه من تنوع سكاني وثقافي انعكس في أنماط الاستقرار، وأساليب المعيشة، والتقنيات الاقتصادية، والتعبيرات الرمزية كالفن الصخري.

الكلمات المفتاحية: الهجرات البشرية-البنية السكانية-ليبيا القديمة

المقدمة:

تباينت آراء الباحثين حول مهد انطلاق الهجرات البشرية القديمة، نتيجة اختلاف مناهج البحث وتنوع المعطيات الأثرية والأنثروبولوجية والوراثية. وقد أسفر هذا التباين عن بروز عدة اتجاهات تفسيرية رئيسية، لا تزال محل نقاش علمي حتى اليوم. وعليه فإن اختلاف الآراء في هذا الموضوع يعكس تعقيد الظاهرة وتعدد العوامل المتحكمة فيها، ويؤكد ذلك الحاجة إلى مقاربات تكاملية تجمع بين علم الآثار والأنثروبولوجيا والوراثة والمناخ القديم، لفهم أدق لمسارات الهجرة البشرية الأولى، ويعد هذا الجدل العلمي ذا أهمية لا سيما عند دراسة تاريخ ليبيا القديمة، فقد شهدت المنطقة تفاعلًا طويل الأمد بين جماعات محلية وأخرى وافدة، مما أسهم في نشوء خصوصية سكانية وثقافية مميزة،

وتدعم ذلك الأدلة الأثرية المرتبطة بأنماط العيش والرعي المبكر، وفكرة الاستمرارية البشرية والتكيف المحلي مع التحولات البيئية.

تعد الهجرات البشرية من الظواهر التاريخية الكبرى، التي أسهمت في تشكيل المجموعات القديمة وبنيتها السكانية والحضارية. وقد مثل الشرق الأدنى أحد أهم مراكز الانطلاق للهجرات البشرية منذ عصور ما قبل التاريخ، نظرا لما تميز به من تطور مبكر في الاستقرار البشري والنشاط الاقتصادي، وفي المقابل شكلت ليبيا القديمة مجالا جغرافيا مفتوحا؛ استقطب موجات عدة من الهجرات، بحكم موقعها المتوسط بين المشرق والمغرب، واتصالها بالبحر والصحراء الكبرى التي تعد جزء منها. كما عززت الدراسات المناخية الحديثة الرأي القائل بأن الصحراء الليبية لم تكن حاجزا ثابتا أمام الهجرات البشرية، بل تحولت خلال الفترات المطيرة إلى فضاء بيئي صالح للحياة، مما أتاح تحركات بشرية خارجية وداخلية واسعة، ربطت ليبيا القديمة بمحيطها الأفريقي والمتوسطي، وتشير الاكتشافات الأثرية المنتشرة في الصحراء الكبرى الليبية، لاسيما أدوات العصر الحجري القديم والحديث، إلى وجود استيطان بشري مبكر يعكس دور ليبيا ك مجال استقرار، لا مجرد منطقة هامشية في حركة الإنسان القديم، فكانت منطقة استقبال للتأثيرات البشرية القادمة عبر وادي النيل أو الساحل المتوسطي، ويحتمل أن تكون الجماعات التي استقرت في شمال ليبيا قد تفاعلت مع موجات بشرية ذات أصول شرقية، وهو ما انعكس في بعض الأنماط الثقافية والمادية خلال العصر الحجري الحديث، وأسهم في تكوين البنية السكانية للمنطقة. من هنا تأتي أهمية هذا البحث من خلال دراسة الهجرات البشرية القادمة من الشرق الأدنى إلى ليبيا القديمة، وتحليل أثرها في البنية السكانية، من حيث التكوين الديمغرافي، والتنوع العرقي، والتفاعل الثقافي.

إشكالية وتساؤلات البحث :

تتمحور إشكالية البحث في مدى إسهام الهجرات البشرية القادمة من الشرق الأدنى في تشكيل البنية السكانية لليبيا القديمة، ومنها تتفرع عدة تساؤلات:

- 1- من أين انطلقت تلك الهجرات؟
- 2- ما الدوافع التي أدت إلى انطلاق تلك الهجرات البشرية من الشرق الأدنى إلى ليبيا القديمة؟
- 3- هل استقر أولئك المهاجرين في ليبيا القديمة؟
- 4- ما أوجه التفاعل بين المهاجرين والسكان المحليين؟

5- ما مدى اسهام الهجرات البشرية القادمة من الشرق الأدنى في تشكيل البنية السكانية لليبيا القديمة؟
فرضية الدراسة:

شكلت البيئة الليبية القديمة منطقة جاذبة للمجموعات القادمة من الشرق الأدنى، فيما أسهم الوافدون في نقل تقنيات جديدة تمثلت في الرعي، والزراعة، والفخار، والتنظيم الاجتماعي، إضافة إلى ظهور تشابه في الرسوم والنقوش الصخرية بين مناطق الشرق الأدنى ومناطق ليبيا القديمة، كما أسهمت الهجرات في تشكيل البنية السكانية للمنطقة.

أهداف البحث:

عبر العصور، وتحليل الدوافع المختلفة للهجرات البشرية، إضافة إلى دراسة أنماط الاستقرار البشري في ليبيا القديمة، وإبراز أشكال التفاعل بين المهاجرين والسكان المحليين، وتوضيح أثر تلك الهجرات في البنية السكانية لليبيا القديمة.

أهمية البحث:

يسهم هذا البحث في فهم أعمق لتاريخ ليبيا القديمة، وتوضيح دور الهجرات في تشكيل التركيبة السكانية، والربط بين الدراسات التاريخية والأنثروبولوجية. يهدف البحث إلى تتبع حركة الهجرات البشرية من الشرق الأدنى إلى ليبيا القديمة

حدود البحث:

الحدود الزمنية: تبدأ من عصور ما قبل التاريخ حتى العصور التاريخية القديمة.
الحدود المكانية: ليبيا القديمة مع التركيز على مناطق الاستقرار الرئيسية.

المنهج المتبع في هذا البحث:

أتبع في هذا البحث المنهج التاريخي للتتبع الهجرات عبر الزمن، إضافة للمقارن والتحليلي لدراسة الظواهر السكانية، ومقارنة المعطيات بين الشرق الأدنى وليبيا القديمة.

الدراسات السابقة:

لقد تحدثت الكثير من الدراسات السابقة عن موضوع الهجرات البشرية التي وصلت إلى ليبيا القديمة من منطقة الشرق الأدنى القديم كل حسب المعطيات المتوفرة لديه عن تلك الفترة، وقد أسمت في انجاز هذا البحث ونذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر- كتاب احمد سوسه، العرب واليهود في التاريخ-حقائق تاريخية تظهر في المكتشفات الأثرية، ط.2، العربي للنشر، وتوفيق برو، تاريخ العرب القديم، ط.2، ج.7، دار الفكر 2001م، محمد علي عيسى، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال

الدراسات الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية، ط.2، 2012م، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس-ليبيا، وجيهان ديزنج، البربر الاصليون، (تاريخ أفريقيا العام جزء2)، جين أفريك-اليونسكو، 1985م، وسيتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الرقي 1986م، ورفال لينتون، شجرة الحضارة، تقديم-محمد السويدي، ج1، موفم للنشر، الجزائر 1990م. إضافة إلى بعض المراجع الأخرى والتي لا تقل أهمية عن التي ذكرت.

الهيكليّة العامة للبحث:

المبحث الأول: تباين الآراء حول المهد الأول للهجرات البشرية القديمة ، والمبحث الثاني: تأثير الهجرات على البنية السكانية لليبيا القديمة.

المبحث الأول - تباين الآراء حول المهد الأول للهجرات البشرية القديمة:

تضاربت الاقوال واختلفت نتائج الدراسات، حول المهد الأول للهجرات البشرية، فتقاربت حيناً، وتباعدت حيناً آخر، افترضوا مناطق عدة ربما تكون هي نقطة الانطلاق لتلك الاقوام، وكان لكل فريق فرضياته واسبابه وبراهينه، ومنها ما هو عكس ذلك، فالبعض افترض أرمنيا، وشمال افريقيا وشرقها، وبابل وسورية، والبعض الاخر افترض شبه جزيرة العرب، ومن خلال تلك الفرضيات والآراء يمكن أن نصل إلى نتيجة ربما تختلف أو تتفق مع أحدا منهم. وللوصول إلى ذلك يجب الإجابة على هذا التساؤل-من أين انطلقت الهجرات البشرية القديمة؟ وما الدوافع التي تدعو الانسان إلى الهجرة؟

أولا - اختلاف الآراء حول نقطة انطلاق الهجرات البشرية.

إن الإجابة عن هذا التساؤل تدعو إلى مناقشة آراء عدة تحدثت عن موضوع نقطة انطلاق الهجرات القديمة، والتي أطلق عليها (توفيق برو) مصطلح النظريات، فلنبدأ بنظرية (جون بترس) والتي يرى فيها أن أرمنيا هي الموطن الأصلي للهجرات البشرية، واعتمد في هذا الاستنتاج إلى نص توراتي "سفر التكوين 4-8"، الذي يذكر أن سفينة نوح رست في منطقة منابع نهري دجلة والفرات، ونزل منها حسب رأيه نوحا وأبنائه الثلاثة، الذين لم يبق منهم سوى "سام" وهو الذي جاء من نسله الساميون؛ إلا أن هذا الرأي لاقى اعتراض كبير من عدة باحثين، بعدم جدوى هذه الاخبار، لأنها حدثت منذ زمن بعيد ولا يمكن أن تكون بهذه الرواية التاريخية، فيما افترض (فون كريمر وغويدي) أن بلاد الرافدين هي مهد الهجرات البشرية، واستنتاجهما بني على دراسة الكلمات المألوفة في اللغات السامية، فالجمل مثلا اسما تشترك فيه جميع اللغات

السامية؛ ولكنها لا تشترك في أسماء أخرى كالنعامة والنخل والتمر، ولأن الجمل كما يقولان منشأه هضاب آسيا الوسطى-قرب نهري سيحون وجيحون-فتعد تلك المناطق الموطن الأصلي للساميين، ولاسيما أن المفردات التي تدل على السهول، والمياه، والنبات، مشتركة بين تلك الشعوب، وأن منطقة بلاد الرافدين غنية بها، لذا فهي المهد الأول لهذه الشعوب. انتقد المستشرق (نولاكه) هذا الرأي لكونه يعتمد كما يقول على المقابلات والموازات اللغوية في إثبات حقائق علمية ليس من المعقول أن يكتفي لدعمها بكلمات معدودة، فيما لم يثبت كون جميع الساميين قد أخذوها من بلاد الرافدين أو غيرها. كما يتجاهل حقيقة هامة وهي أن قانون التقدم الاجتماعي يفرض على الاقوام الرحل الهجرة من المناطق الجافة إلى المناطق الخصبة، فليس من المعقول أن يهاجر المستقرون في المناطق الخصبة إلى المناطق الصحراوية القاحلة، كشبه الجزيرة العربية ليصبحوا رعاة متنقلين (1).

يعتقد الباحث الاثري (جواد علي) أن القبائل العربية كانت منتشرة في سواحل أفريقيا الشرقية في العصر الحجري القديم، وربما عبرت من باب المنذب إلى اليمن، ومنه تفرقت لمناطق عدة (2). فيما يختلف كل من (جير لند) و(بارثون) و(برنتن) في تحديد الموقع الافريقي الذي انطلقت منه الهجرات حسب رؤيتهم، التي تقوم على الدراسات الفيزيولوجية مثل تكوين الجماجم، إلى جانب البحوث اللغوية، فيرى (جير لند) أنه شمال أفريقيا، فحين أن (بارثون) يقول إنه الحبشة وأفريقيا الشرقية، لذا نراه يتفق مع (جواد علي)، أما (برنتن) فيفترض الشمال الغربي لأفريقيا؛ وتحديدا جبال أطلس، فيما كانت نقطة الاختلاف بينهم هي الطريق الذي سلكه المهاجرون، فمنهم من يرى أنه برزخ السويس، وآخر يرى أنه باب المنذب، غير أن الحجج التي أوردها كانت ضعيفة، فالتشابه بين اللغات السامية والحامية "أي لغة اهل الجنوب والمصرية القديمة والحبشية" واشترك اهل الجنوب والاحباش في عبادة الاله "المقة" إله سبأ الأعظم ليس حجة قاطعة مسلما بها، لأنها تستند على دراسات لم تثبت بعد، إضافة للتشابه بين الشعوب من ناحية اللغة؛ كالمصرية مثلا وبقية اللغات الأخرى؛ ربما يعود إلى تأثير شعب الهكسوس في المصريين، وهم من الأقوام السامية التي غزت مصر واستقرت فيها(3). وكذلك ربما يكون اليمينيون الذين دخلوا الحبشة في غضون القرن الخامس ق.م. وكونوا دولة اكسوم الحبشية التي استعملت اللغة "الجفرية" وهي لغة سامية، لازال الاحباش يكتبون بها بقلم شبيه بالمسند، وهو القلم العربي الجنوبي، والمدونات التي عثر عليها في الحبشة، تعد أحدث عهدا من الكتابات السبئية، وهذا يدل على أثر العرب في الاحباش (4). ومن خلال ما تقدم نستنتج عدم صحة هذه الافتراضات، لعدم كفاية الأدلة

التاريخية، فهي تحتاج إلى اثبات صحتها من خلال دراسات علمية وأثرية دقيقة.
ثانيا- الجزيرة العربية الموطن الأصلي للمهاجرين:

يرى عدة باحثين ومن بينهم التميمي، أن الهجرات البشرية القديمة قد انطلقت من شبه الجزيرة العربية، متجه نحو الشمال، بعد أن تغير مناخ المنطقة في العصر الجليدي، قبل أكثر من عشرة الاف سنة، ما سبب الجفاف وحول معظم بلاد العرب إلى مناطق صحراوية قاحلة، والمعروف أن إولى الهجرات التي نزع فيها السكان لبلاد الرافدين ومصر كانت حوالي 4000 سنة ق.م. فيما كانت الهجرات الثانية إلى الهلال الخصيب والمغرب، قد حصلت حوالي 2500 ق.م، ويبدو من خلال الدراسات التاريخية والأثرية المتعددة، أنه نتيجة لتلك الهجرات حصل استقرار في تلك المناطق، وبعد ذلك التحرك السكاني، حدث التمازج الحضاري؛ الذي أدى إلى ظهور المدنيات، وأما العرب فقد كان ضهورهم أول مرة في نجد والعروض والحجاز واليمن؛ فيما تظهر صفات مشتركة تميز بها سكان تلك المناطق كاللغة المشتركة والعادات الاجتماعية، وطرق المعيشة، هذا التشابه جعل الباحثون يعتقدون أن العرب منحدرين من اصل واحد سموه الجنس السامي (5).

أشار (احمد سوسة) إلى أن الباحثين في أصول اقوام الشرق الأدنى-ذكروا أن اسلاف تلك الجماعات كانوا يتمتعوا في الأصل بحضارة قديمة في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة العرب، فقد كانت بلادهم في ازمانا غابرة عامرة بأنهارها دائمة الجريان وبأمطارها الغزيرة الدائمة، ثم مع حدوث تغير في المناخ، الامر الذي أدى إلى انحباس الامطار واندثار الأنهار، فأخذ الجفاف ينتشر، ما دعي بالإنسان والحيوان إلى الهجرة، بتجاه الشمال (6)، حيث وفرة المياه، لا سيما في أطراف الهلال الخصيب عبر موجات متعاقبة فتوجه جزء شرقا نحو بلاد الرافدين، تحديدا الفرات، واستقر جزء آخر في فلسطين وسوريا، فيما توجه آخرون نحو طور سينا، واطراف وادي النيل الأسفل الشرقي، وحسب التنقيبات الأثرية التي حددت تاريخ بداية الهجرات وهو الالف الثالث قبل الميلاد. فيما يرى (باقر) أن الساميون قد عاشوا منذ اقدم العهود في مواطنهم التي عرفت في التأريخ؛ وهي شبه جزيرة العرب وأطرافها في منطقة الهلال الخصيب، وبوادي الشام، وبلاد الرافدين، أما النظرية الشائعة حول مهد تلك الهجرات ترجح إلى كون شبه جزيرة العرب هي المهد الأول لتلك الشعوب، وهي اكثر شيوعا لدى الباحثين، ويقول (باقر) "انتشر من الجزيرة العربية منذ ازمنة مختلفة اقواما على هيئة هجرات، استوطنت في اطراف الجزيرة، ومنها بوادي الشام، والعراق الغربية، وبوادي ما بين النهرين العليا مثل مناطق الخابور، والبليخ، والفرات الأعلى، ومنها كانت تغلغل إلى

المناطق الاخصب، مثل وادي الرافدين وبلاد الشام (سوريا وفلسطين ولبنان)، حتى وادي النيل؛ حيث دخلت جماعات من الساميين منذ عصور ما قبل التاريخ في تركيبة سكانه" (7). ويؤكد (موسكاتي) ما ذكره سابقه، من أن تلك الهجرات كان مصدرها شبه جزيرة العرب، لاسيما الأطراف منها، ويقول " ليست وثائق التاريخ الأساس الوحيد للرأي القائل بأن الساميين جاءوا من الصحراء العربية، فمن الثابت أيضا أن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للصحراء تجعل سكانها الرعاة البدو ينزحون، ولا مناص إلى التدفق على المناطق الزراعية المحيطة بالصحراء" (8). وتطرق (السواح) في إحدى محاضراته إلى أن تاريخ الهجرات وأسماء الجماعات التي حملتها، يرجع حسب رأي الباحثين إلى النصف الأول من الألف الثالث ق.م، الذي شهد خروجًا لثلاث موجات بشرية قادمة من الجزيرة العربية- اثنتان باتجاه وادي الرافدين، وهما الأكادية التي استقرت في المنطقة الجنوبية؛ وتمازجت مع العناصر السومرية هناك، والموجة الآشورية التي استقرت في المناطق الشمالية، وذلك من طوروس شمالًا إلى فلسطين وحدود مصر جنوبًا، ومن البحر المتوسط غربًا، إلى نهر الفرات شرقًا، ومع أواخر الألف الثالث ق.م خرجت هجرة الأموريين التي استقرت في بادية الشام، مشيرًا إلى أنها انقسمت فرعين: فرع واصل طريقه إلى نحو وادي الرافدين، وأسس الدولة البابلية القديمة، والفرع الآخر استقر حول حوض الفرات، والخابور ومناطق الشام الداخلية، وشكل الممالك الأمورية، التي ازدهرت في مطلع الألف الثاني ق.م. وفي منتصف الألف الثاني ق.م انتشر الآراميون في مناطق حوض الخابور والفرات والشام، فيما ارتحل الفرع الكلداني منهم إلى وادي الرافدين، خلال النصف الأول من الألف الأول ق.م، وأسسوا الدولة البابلية الحديثة (9). من خلال ما تم طرحه نرى أن مؤرخين عدة يرو أن شبه الجزيرة العربية هي المهد الأول للهجرات البشرية، فإذا سلمنا بهذا القول كحقيقة، فينبغي الخوض في صحة فرضية أن صحاري الجزيرة العربية القاحلة كانت عامرة بالحياة؛ وذلك لتوفر الموارد المائية، التي يحتاجها الإنسان والحيوان والنبات، وكان ذلك في العصور الحجرية القديمة، ما يعرف جيولوجيا بالبلايستوسين لما تمتعت به من غزارة الامطار، إلا إنها مع حلول الجفاف لم تعد صالحة للحياة. لتأكيد هذه الفرضية أو نفيها يمكن أن نستدل بدراسة المؤرخ الإيطالي (كايتاني) الذي يرى من خلال الأثار الموجودة في شبه الجزيرة العربية، المتمثلة في وجود أثار للمياه والنبات، ومنها بقايا بحيرة في الربع الخالي عند منخفض (أبو بحر) إضافة لآثار نباتات وحيوانات في جبال (البتراء) ووادي (الرملة) الذي لازال مليئًا بالصخور الرسوبية والحصى، ما يدل ذلك على إنه كان مجرى نهر غزير المياه، كذلك كثرة الأسود في

بلاد الرافدين، كما أن الفيلة كانت تعيش في شمال سوريا قبل أربعة آلاف سنة، كما تحدث الجيولوجيون عن مناخ شبه الجزيرة العربية؛ بأنه كان يشبه إلى حد كبير مناخ الهند الآن (10)، وهذا ما اثبتته الدراسة العلمية التي قام بها فريق دولي من العلماء تابع لمعهد (ماكس بلانك لعلوم تاريخ البشرية)، وجامعة (رويال هولواي) بلندن، فقد أفاد (ريتشارد كلارك ويلسون) بأن "في أوقات معينة من الماضي، تحولت الصحاري التي كانت تهيمن على الجزء الداخلي من شبه الجزيرة إلى أراضي عشبية واسعة بها بحيرات وأنهار دائمة للمياه العذبة، خلال فترات الانتعاش المناخي، إذ انتشر البشر والحيوانات في المناطق الداخلية (صحراء النفود)، فمن خلال السجل الأثري الاحفوري لتلك المنطقة، فأوضحت الدراسة اكتشاف مئات من أثار أقدام بشرية وحيوانية كالفيلا وافراس النهر والخيول وغيرها، ما يدل على ان منطقة شبه الجزيرة في الماضي البعيد كانت ملائمة للحياة (11)، فيما نشرت المجلة العلمية (ساينس ادفانس) دراسة عن اكتشاف في السعودية يدعم هذه الدراسات السابقة، وهو العثور على عظم اصبع لإنسان عاقل (الشكل 1) استخرج من موقع الوسطى في صحراء النفود ويقدر عمره بنحو 85 ألف سنة، فيما أكد هذا الاكتشاف الجدل الذي طرحه (بترا جليا) وفريقه منذ أكثر من عقد يفيد بفرضية وجود موجات هجرة متعدد خارج افريقيا، وقد ربط هذا الاكتشاف بين بلاد الشام وشرق آسيا، وأظهر اتساع رقعة المنطقة الجغرافية التي استهدفتها الهجرات القديمة، فيما أضافت هذه الدراسة وحسب قول (كريستوفر باي) إلى الدراسات السابقة أن الإنسان الحديث كان موجودا في آسيا منذ 60,000 سنة (12)، لا سيما وقد أكدت الدراسة التي أجراها فريق من المختصين في صحراء الربع الخالي، والمنشورة في مجلة (Communications Earth & Environment)، أن هذه الصحراء لم تكن ارضا قاحلة في عهود غابرة، بل اشتملت على بحيرات وانهار كثيرة، وأن المنطقة مرت بفترات متكررة من الاخضرار؛ نتيجة لهطول أمطار غزيرة ما أدى إلى تشكل البحيرات والانهار، وبلغت ذروتها قبل نحو 9000 عام، وقد عززت تلك الظروف المراعي والسافانا، ما سمح بتوافد الهجرات البشرية إليها، ثم توسعت تلك الجماعات التي مارست الصيد وجمع الثمار، إضافة إلى ظهور المجتمعات الرعوية، وقد اثبت ذلك من الأدلة الأثرية الوفيرة التي اكدت وجود البحيرات والانهار القديمة، وانه بحلول 6000 عام مضت شهدت صحراء الربع الخالي انخفاضا حادا في هطول الامطار، ما خلق ظروفًا جافة وقاسية، أجبرت الإنسان والحيوان على الانتقال إلى مناطق أكثر ملائمة للحياة (13)، وهذا ما أكدته الدراسة التي قام بها فريق من العلماء بعد مقارنة الجينوم البشري الحديث بالحمض النووي البشري القديم، فقد أكتشف



(الشكل 1) عظم أصبع لأنسان عاقل عثر عليه بموقع الوسطى بصحراء النفود في شبه الجزيرة العربية. العلماء أن مجموعة فريدة من عرب شبه الجزيرة العربية، قد تكون هي الأقدم من بين بقية المجموعات الموجودة في الشرق الأدنى الحديث، وحسب قول (يونس مقرب) أحد المشاركين في هذه الدراسة، أن أعضاء هذه المجموعة قد يكونوا أقرب الأقارب لأوائل المزارعين والصيادين وجامعي الثمار القدماء، ويرى الباحثون أن الجماعات العربية الموروثة قد خضعت على ما يبدو لانقسامات عدة منذ 12000 إلى 20000 عام، لأن هذا يتزامن مع الفترة التي أصبحت بها شبه الجزيرة العربية أكثر جفافا، لذا انتقلت بعض من تلك المجموعات إلى مناطق أكثر خصوبة، فيما ظل البعض الآخر في المنطقة الجافة واستطاعت التكيف مع ذلك الوضع، كما وجد الباحثون أن شبه الجزيرة العربية قد كان لها دورا هاما في الهجرات البشرية من أفريقيا. إضافة إلى كيفية انتشار الانسان الحديث لأول مرة في جميع انحاء العالم. (14)، لذا يرجح أن تكون شبه جزيرة العرب هي الموطن الذي انطلقت منه الهجرات البشرية؛ إلى بلاد الرافدين، والشام، وواد النيل، ومنها إلى أفريقيا على شكل موجات قسمت كالتالي:

- هجرة الاكاديين الذين نزحوا إلى بلاد الرافدين 3600 ق.م.
- هجرة العموريين لبلاد الرافدين، والكنعانيين والفينيقيين إلى بلاد الشام 2200 ق.م.
- الأراميين لبلاد الشام 1500 ق.م.
- الانباط والتدمريين 500 ق.م.
- العرب المسلمين في القرن السابع الميلادي (15).

أدت دوافع عدة إلى خروج تلك الموجات من المهاجرين؛ كان أهمها الحروب، والصراعات على موارد الحياة، بعد أن حل الجفاف بالمنطقة، ما أدى إلى هجرة الانسان والحيوان، بحثا عن سبلا للعيش في مناطق أخرى. وقد أخذت تلك الهجرات مسالك وطرق مختلفة؛ منها الهلال الخصيب، وأخرى إلى وادي النيل عبر برزخ السويس، ومنها إلى وسط وشمال إفريقيا، فيما أخذت هجرات أخرى طريقها نحو أفريقيا عن طريق باب المنذب (16).

المبحث الثاني - أثر الهجرات على البنية السكانية لليبيا القديمة :

أولا - العلاقة بين أفريقيا وشبه الجزيرة العربية قديما:

بدأت الجماعات البشرية في شرق أفريقيا ترسي دعائم الحياة، بعد انتهاء فترة البلايستوسين، وذلك حين أصبح المناخ ملائما كخطوة نحو وضع حجر الأساس لمجتمع مستقر، دلت عليه البقايا الأثرية في الجزء الأكبر من سواحل شرق أفريقيا، والتي تؤكد معرفة الإنسان القديم في تلك المنطقة للزراعة وصناعة الفخار في وقت مبكر، لاسيما بسواحل (تنزانيا)، وذلك ما عرفته الدراسات الأركيولوجية باسم صناعة المستأنسات (The domesticated industry) أو علامة التغير البيئي (Signs of Environmental Domestication). (17)، وذلك بعد أن تحولت الحياة الاقتصادية لشعوب المنطقة من اقتصاد قائم على الحرف البدائية المتمثلة في الجمع والالتقاط والصيد؛ إلى اقتصاد مستقر عماده الزراعة وإنتاج الغذاء، وذلك بعد أن وصل الإنسان إلى مرحلة استئناس الحيوانات، وانتشار اعداد كبيرة من الماشية مثل: الماعز والاعنام والإبل، وخلال العصر الحجري الحديث تطورت عمليات الرعي في شرق أفريقيا إلى درجة متقدمة، نتج عنها تحرك سكاني كبير، كان له الأثر في التطور الاجتماعي والثقافي في إقليم شرق إفريقيا(18).

إن الحضارة الأفريقية في العصر الحجري الحديث، قد كانت جذورها من جنوب غرب آسيا، هذا ما يراه بعض علماء الحفريات، بناء على تطابق الناحية التكنولوجية في كلا الحضارتين وتشابهما، لا سيما في أهم العناصر التي قامت عليها؛ ألا وهو الاقتصاد المبني على النبات والحيوان، والذي يرى البعض بأنه ينتمي بأصوله إلى جنوب غرب آسيا (19)، فيما توضح الفنون الصخرية في كلا الحضارتين في مراحلها الأولى من حياة الجمع والالتقاط والصيد، الصلات القوية وأهمها النواحي الثقافية بين المنطقتين والتي ظهرت في فترة مبكرة (20)؛ ولعل السبب الرئيس يكمن في التطابق الكبير للظروف البيئية والمناخية، هذا ما دلت عليه بعض نتائج الحفريات التي قامت في كلا المنطقتين؛

للتربة المصاحبة للطبقات الترسبية، والتي أوضحت بأن فترات مطيرة تلتها فترات جفاف نسبية تعاقبت على المنطقتين، في مدى ألفي عام وهي فترة الاستيطان البشري، وهذا يدل على أن عامل المناخ كان من أهم الأسباب المؤثرة في حياة الانسان القديم، فهو يضطره لترك موطنه والهجرة إلى أماكن أخرى أكثر ملائمة للعيش؛ ولعل ذلك ما دعا سكان شبه الجزيرة العربية بالهجرة إلى شرق أفريقيا، والتي استمرت حتى فترة متأخرة من عصور ما قبل التاريخ (21)، فيما فند الاكتشاف الاحفوري للأصبع البشري الذي سبق ذكره الادعاء القائم على نظرية أن شبه الجزيرة العربية بعيدة عن الموقع الأساس للتطور البشري، اذ يرى الباحثون أن هذا الاكتشاف يضع الجزيرة العربية بقوة على الخارطة باعتبارها من المناطق الأساسية لفهم أصول البشرية وانتشارها إلى بقية انحاء العالم (22). ربما هذا ما دعي الكثير من العلماء على قول إن شبه الجزير العربية هي المهد الأول للإنسان، وقد أكدت الأبحاث التي أجراها علماء الآثار والانثروبولوجيا واللسانيات، بناء على شواهد وقرائن قديمة وحديثة، كل حسب تخصصه عن عصور ما قبل التاريخ، في منطقة شمال إفريقيا، ولا سيما منطقة ليبيا القديمة؛ والتي أفضت نتائجها إلى أن هذه المنطقة كانت على الدوام حلقة وصل بين المنطقة الممتدة من جنوب الصحراء الكبرى، والهضبة الاستوائية الافريقية في الجنوب، وجنوب غرب آسيا في الشرق (23).

ثانيا - أثر المجموعات المهاجرة على البنية السكانية الليبية القديمة:

إن المجموعات السكانية التي ظهرت في منطقة ليبيا القديمة خلال العصر الحجري الحديث، قد بدأ وجودها منذ منتصف الألف الخامسة قبل الميلاد، وأن الليبيين القدماء تكونوا من تمازج حدث بين ثلاثة عناصر سكانية، استوطنت المنطقة على التوالي، وهم أصحاب الثقافة العاتيرية، وأصحاب الثقافة القفصية، وسلالة من العصر الحجري الحديث، وجميع هذه المجموعات قدمت من الشرق حسب ما يرى (جيان ديزنج) (24)، وبالرغم من تباين الآراء بين المؤرخين القدامى من إغريق ورومان وبيزنطيين ومسلمين؛ لخطهم بين الحقيقة والخيال فيما يتعلق بأصول المجموعات السكانية التي استوطنت ليبيا القديمة، إلا أن جميعها تقر بأنها تعود بأصولها إلى منطقة الشرق الأدنى (25)، وقد أظهرت التحاليل التي أجريت للرسوم الصخرية وبقايا الحيوانات في منطقة الصحراء الكبرى، بأن سكانها كانوا من رعاة الأغنام والماعز والابقار، لذا يعتقد الكثير من الباحثين أن هؤلاء الرعاة قد جاءوا من الشرق الأدنى منشاء الزراعة (26).

إن العلاقة بين شبه الجزيرة العربية وشرق وشمال أفريقيا موعلة في القدم. فمن الجانب الجغرافي كانت شبه الجزيرة العربية ومنطقة الهلال الخصيب، جزءا من

أفريقيا خلال فترة العصور الجيولوجية القديمة، ثم انفصلا عنها نتيجة عوامل طبيعية وجغرافية، أما العلاقات البشرية فقد كانت نتيجة للهجرات التي خرجت من شبه الجزيرة العربية خلال العصر الحجري الحديث، فأتجه جزءا منها نحو شرق وشمال أفريقيا، فوصلت مجموعات عدة إلى الصحراء الكبرى، وذلك بعد أن عبرت برزخ السويس باتجاه مصر ثم نحت جنوبا، ومنها انطلقت نحو الغرب إلى أن وصلت منطقة الصحراء الكبرى فاستقر البعض منها هناك، فيما واصل البعض الآخر سيرهم نحو الشمال الغربي، وهي التي أسست عدة ثقافات من أهمها الثقافة العاتيرية، والثقافة الوهرانية، والثقافة القفصية. كما وصلت الجموع الثانية من المهاجرين إلى الصحراء الكبرى، عبر شرق أفريقيا، في حدود الألف السادسة قبل الميلاد، وقد حملت معها ثقافتها وخبرتها؛ في الزراعة، ومعرفتها أستناس وتربية الحيوانات وتدجينها (27)، ومن الدلائل الواضحة على ذلك ما عثر عليه من رسوم ونقوش صخرية في عدة مناطق متفرقة من الصحراء الكبرى منها تاسيلي، والاكاكوس، والعيونات، ولأن عملية أستناس الحيوانات لم تكن معروفة بالمنطقة قبل الألف السادسة قبل الميلاد، فهي ظهرت مع وصول هؤلاء المهاجرين؛ إضافة إلى أن الحيوانات المستأنسة هي أبقار وضان وماعز، وهذه الحيوانات لم تكن معروفة في أفريقيا، هذا ما أوضحتها المجسات التي أجريت في منطقة (وان موهجاج)، والتي اثبتت وجود طبقة من روث الابقار، على شكل فراش متماسك، وجد في الطبقات العليا؛ أي الأحدث زمنيا، والتي تعود لدور الرعاة، ولأن تلك الحيوانات كانت قد عرفت في شبه الجزيرة العربية، والشرق الأدنى القديم (28)، فقد كشفت الدراسات التي أجريت على الفنون الصخرية في موقع (جمي) الأثري بمنطقة (نجران) في المملكة العربية السعودية، وهو أحد أكبر تجمع للفن الصخري في العالم. إضافة إلى موقع (جبة والشويمس) بمنطقة (حائل) الذي يعد من أكبر المواقع الأثرية في المملكة، والتي أوضحت أن تلك النقوش والرسوم نفذت على الواجهات الصخرية، بالرسم أو بالحفر الغائر (شكل 4)، وقد عبر فيها السكان عن انشطتهم اليومية المختلفة، وكيفية تفاعلهم مع الطبيعة، وظروف حياتهم اليومية، وطقوسهم وعقدتهم الدينية، وأشكالا آدمية، والاحتفالات الجماعية، والمعارك الحربية، وأنواعا من الحيوانات التي كان يستخدمها الإنسان أو التي يقوم بصيدها متمثلة في: الابقار الوحشية، والزرافة، والغزلان، والنعام، والماعز، وقد اكدت الدراسات الأثرية التي تحدثت عن تلك الرسوم والنقوش، أن معظمها يعود لفترة العصر الحجري الحديث

(29)

(الشكل 4).



(الشكل 2) نقوش صخرية عثر عليها في موقع جبة بمنطقة الحائل في المملكة العربية السعودية



(الشكل 3) الرسوم الصخرية التي عثر عليها في منطقة الصحراء الكبرى (تين العاشق، تادرات الأكاكوس، موري، ص 86)

وعند المقارنة بين هذه المواقع ومثيلتها في الصحراء الكبرى بالجزء الليبي، نجد تشابها كبيرا في الفكرة التي أنتجت الحدث الفني والمضمون، إضافة إلى أن الفن الصخري عكس تنوعا في الأساليب والأنماط، التي أظهرت التطور الفني والابداعي للإنسان القديم في كلا المنطقتين، لذا من الممكن أن يكون أصحاب الحضارة الفنية الخالدة في الصحراء الليبية، هم مزيج من السكان الأصليين (الزنوج)، وأولئك

المهاجرين الذين قدموا من الشرق الأدنى، ولاسيما من شبه الجزيرة العربية وهم أصحاب الثقافة الرعوية. ومع حلول الجفاف بمنطقة الصحراء الكبرى وانعدام فرص الحياة فيها؛ اتجه سكانها شمالا نحو الجبال التي حافظت على بعض الرطوبة بسبب ارتفاعها، ومع الألف الثاني قبل الميلاد، تكونت وحدة سكانية امتدت من إقليم طرابلس شرقا، وحتى أعمدة هرقل غربا (مضيق جبل طارق)، وتمثلت تلك الوحدة في الجنس، واللغة، وإن اختلفت لهجاتها المحلية، وسكنوا الكهوف، ومارسوا الصيد والرعي، والزراعة الموسمية، لاسيما وقد انتشرت ملكية الأرض الجماعية بين تلك القبائل الرعوية (30). فيما وصلت مجموعات غفيرة من سكان الصحراء إلى المناطق الساحلية خلال الألف الثاني قبل الميلاد، واستقروا في شكل قبائل متناثرة على امتداد الساحل، وقد شجعته الظروف البيئية المناسبة على الاستقرار في قرى، وممارسة حرفتي الصيد البحري والزراعة (31). أما عند تتبع صفات الإنسان القديم في المنطقة، فنجد أنه خلال الألف السابع قبل الميلاد ظهر الإنسان القفصي، صاحب القوام الطويل والرشيقي، وصفاته شبه الزنجية، وجمجمته مطابقة للإنسان المعاصر (32)، فيما صدر تصنيف علمي سنة 1913م إثر تتبع بيولوجي لسكان ليبيا القديمة، وتم تقسيمهم لثلاث فئات، الأولى-ذوي القامة القصيرة والرأس المستطيل، والشعر الأسود، وأنف متوسط، وبشرة تميل للاحمرار والسمر، أما الفئة الثانية فهم ذوي القامة القصيرة، والرأس البيضراوي، والشعر الأسود، والعينين الداكنتين، وبشرته تميل للصفرة، وقد وجدوا في جزيرة جربة وما حولها، والفئة الثالثة هم ذوي القامة الطويلة، والرأس المستطيل، وانفه طويل ودقيق، وشعره اشقر، وبشرته بيضاء أو وردية، وعينيه زرقاء، وقد تفرع منه نوعان: أحدهما رأسه بيضاوي، والآخر بشرته شديدة السواد وأنفه مفلطح، وجد في الواحات بالصحراء (33). وقد كان أول ذكر لصفة الشقرة عند الليبيين، ما ورد في نقشين يعودا إلى الأسرة الفرعونية السادسة (2434-2242 ق.م) وغلب على تفاصيل النقش اللون الأصفر، وشقرة الشعر، واللحية، وزرقة العيون، وقد أطلق عليهم أسم التمحو.

طرحت عدة آراء حول أصول تلك القبيلة التي تحمل هذه المواصفات؛ ولعل فرضية أن التمحو هم إحدى القبائل التي قنطت الصحراء الكبرى في بداية العصر الحجري الحديث، إلا أنه مع تغير المناخ وحلول الجفاف، هاجر بعضهم نحو الشمال هي الأقرب للحقيقة؛ وذلك بعد الكشف عن صفات الشقرة في الرسوم الصخرية بتاسيلي، والاكاكوس، وسرت (34). لكن بالرغم مما تم عرضه من معلومات عن التأثير الجيني للشعوب الوافدة على المنطقة في تشكل البنية السكانية لليبيا القديمة، إلا أن ما تم اكتشافه في آخر دراسات جينية قام بها العلماء والتي نشرت في مجلة (نتشر Nature) على بقايا

عضوية تعود لامرأتين (شكل 4) قبل حوالي 7,000 عام، وتعد أقدم بقايا بشرية محنطة يعثر عليها. فقد كشفت هذه الدراسة عن وجود سلالة بشرية قديمة منعزلة داخل مأوى صخري يعرف ب(تاكاركوري) يقع في جنوب غرب ليبيا، ومن المثير للاهتمام أن هؤلاء السكان قد حافظوا على عزلتهم الوراثية بشكل كبير، ولم يظهر تأثيرهم الوراثي بالمجموعات السكانية الموجودة في الشمال أو الجنوب، إلا أن الأدلة الأثرية تشير إلى ممارستهم لتربية الحيوانات، وهذا يدل على أن هذه المنطقة كانت مزدهرة، كما أوضحت اللقى الأثرية التي عثر عليها في هذا الموقع؛ والمتمثلة في أدوات حجرية وخشبية وعظمية، وفخار، وسلال منسوجة، على نمط الحياة لهؤلاء الرعاة القدامي، ويذكر (يوهانس كرواس) أحد القائمين على هذه الدراسة، بأنه بالرغم من اختفاء تلك السلالة الليبية قبل حوالي 5,000 سنة وذلك مع انتهاء الفترة الرطبة وتحول الصحراء الكبرى إلى مرحلة الجفاف، إلا أن أرثهم الجيني لم يندثر، وأن آثار الأسلاف لاتزال قائمة بين مجموعات مختلفة في شمال أفريقيا(37)، فيما أوضحت (لويزة هامفري) رئيس البحث بمركز أبحاث تطور الإنسان في متحف التاريخ الطبيعي بلندن، بأنها تتفق مع نتائج هذه الدراسة، فقد كان سكان تاكاركوري معزولون عن العالم جينيا إلى آلاف السنين، وأن الرعي في تلك المنطقة تأسس من خلال الانتشار الثقافي، باستبدال مجموعة سكانية بأخرى، وأن الحمض النووي المستخلص من المرأتين، وهم من الرعاة قد دفنتا في هذا المأوى قبل حوالي 7,000 عام، يكشف أن معظم سلالتهما يمكن أنها تتبع السلالة الجينية لشمال أفريقية القديمة غير المعروفة سابقا، إلا أن (كريستوفر سنوبانوووسكي)، عالم الآثار البيولوجي والأستاذ في جامعة ولاية أريزونا، يقول إن إحدى النتائج الأكثر إثارة للاهتمام في هذه الدراسة كانت " استنتاج حجم من متوسط إلى كبير، في عدم وجود دليل على زواج الأقارب"، وأضاف إن ندرة الأدلة على زوج الأقارب، تشير إلى درجة من الحركة والاتصال، ما يتعارض إلى حد ما مع فكرة وجود سكان معزولين طويلا في الصحراء الخضراء. إضافة إلى أن النتائج التي توصلت إليها التحاليل التي أجريت على الرسوم الصخرية، وبقايا الحيوانات التي وجدت في المواقع الأثرية عبر الصحراء، تفيد أن سكانها كانوا من رعاة الأغنام والماعز والابقار، ما دفع بعض الباحثين للاعتقاد بأن هؤلاء الرعاة قد قدموا من الشرق الأدنى (38).

توالت الهجرات البشرية القادمة من الشرق الأدنى إلى منطقة ليبيا القديمة تباعا، فبالإضافة للهجرات التي وصلت للمنطقة خلال عصور ما قبل التاريخ، تلاها توافد الفينيقيون في الألف الأول ق.م، عندما وصلوا إليها وقاموا بإنشاء محطات تجارية لهم فيها، ما لبثت أن تحولت ثلاثة منها إلى مدن كبيرة، أصبحت لها أهمية سياسية

واقتصادية، وذلك بما نقله الوافدين من خبرات في كافة المجالات، فيما مثل الفينيقيون القادمون من الشرق أقلية بالمقارنة مع السكان المحليين؛ ولكن سرعان ما اندمجوا معهم وتبادلوا النظم والثقافات، فأصبح المجتمع الليبي خليطاً من الفينيقيين والليبيين، ما سهل حدوث التمازج والانصهار بين العناصر الوافدة والمحلية، نتج عنه ظهور فئة اجتماعية جديدة سميت الليبو فينيقي، فيما ظهر التأثير الحضاري بين الطرفين في عدة نواحي؛ إلا أن أهمها كان الجانب الديني، لاسيما الطقوس الجنائزية، إضافة إلى التأثير اللغوي، فقد ظلت اللغة البونية متداولة خلال الاستعمار الروماني للمنطقة، والتي يرى كثير من المختصين بأنها نتاج لتفاعل الثقافتين الليبية والفينيقية (39)، ومما يدل على أثر الهجرات في البنية السكانية للمنطقة النقوش التي وجدت على الأضرحة في مناطق متفرقة من ليبيا، كالنقش الذي وجد على نقيشة بونية عثر عليها في مقبرة وادي العمود، وقد ورد فيها أسم ولقب المتوفي كالتالي: السطر الأول: "ما صوكان بن يمرر بن جطيط المصلي". السطر الثاني: "زوط ابنة جاتيدان التغلي". واللقبان المصلي والتغلي أضيفا إلى أسم العائلة وهو اسم قبيلة، كما هي عادة العرب حمل أسماء قبائلهم، والتغلي هو اسم لقبيلة عربية معروفة، ولعل ذلك إشارة إلى أن تلك العائلة تعود بأصولها التي تنحدر منها إلى العرب، لأن الأسماء المدونة على شواهد القبور والمباني التي عثر عليها في عدة أماكن متفرقة من ليبيا عربية، ما يؤكد أن الأصول التي ينحدر منها سكان ليبيا أغلبها عربية (35) وكما يرى الميار أن لقب هتغلي (HTG.BY) التغلي هو اسم لقبيلة عربية لاتزال موجودا حتى الآن في العراق والسعودية، همصلي (HMSL.Y): المصلي وهو أسم عربي لازال موجودا تحمله بعض الاسر والعشائر في ليبيا (36)، ولعل ما وجد من ألقاب عربية على أضرحة المقابر القديمة، ما هي إلا دليل على تأثير الهجرات البشرية القديمة القادمة من الشرق الأدنى في الجذور التاريخية والبيولوجية التي شكلت البنية السكان لليبيا القديمة.

الخاتمة:

أظهرت نتائج هذا البحث أن الهجرات البشرية، لم تكن عاملاً طارئاً أو ثانوياً في تاريخ ليبيا القديمة، بل شكلت أحد المرتكزات الأساسية في بناء بنيتها السكانية وتطورها التاريخي. فتشير عدة دراسات أثرية وأنتروبولوجية إلى أن شبه الجزيرة العربية تعد من أهم المراكز المبكرة لانطلاق الهجرات البشرية خلال عصور ما قبل التاريخ، ولا سيما خلال العصر الحجري الحديث. فقد أسهمت التحولات المناخية والبيئية التي شهدتها المنطقة، إلى جانب تطور أنماط المعيشة القائمة على الرعي المبكر واستئناس

الحيوانات، في دفع جماعات بشرية إلى التحرك غربا عبر المشرق ووادي النيل، وصولا إلى ليبيا القديمة. وقد حملت تلك الهجرات معها ثقافتها وتقنياتها المتميزة، المتمثلة في أنماط الاستقرار وأدوات الإنتاج، والتقاليد الرمزية، مما أسهم في إغناء المشهد الثقافي المحلي، والتفاعل مع المكونات السكانية القائمة، ويعكس هذا الامتداد الثقافي الدور المحوري لشبه الجزيرة العربية بوصفها مهدا لحركية بشرية كان لها أثر ملموس في تشكيل البنية السكانية والثقافية لليبيا القديمة خلال العصر الحجري الحديث. أسهم الموقع الجغرافي لليبيا القديمة، بوصفه حلقة وصل بين المشرق، ووادي النيل، وليبيا القديمة، وعمق الصحراء الكبرى، في جعلها مجالا مفتوحا لتدفقات بشرية متعاقبة، حملت معها أنماطا ثقافية واقتصادية متنوعة. وتشير الشواهد الأثرية والأنثروبولوجية، مدعومة بالمعطيات البيئية والمناخية، إلا أن هذه الهجرات لم تقض بالضرورة إلى إحلال سكاني كامل، بل غالبا ما اتخذت طابع التفاعل والاندماج مع المكونات المحلية، مما أفرز بنية سكانية مركبة اتسمت بالاستمرارية والتكيف. وقد انعكس هذا التفاعل في تنوع أنماط الاستقرار، وتطور أساليب العيش، وظهور تعبيرات ثقافية مميزة، تمثلت في الرسوم الصخرية والأنشطة الاقتصادية المرتبطة بالبيئة الصحراوية وشبه الصحراوية. وعليه فإن دراسة موضوع الهجرات وأثرها في ليبيا القديمة، تتيح فهما أعمق لديناميات التشكل السكاني بعيدا عن التفسيرات الاختزالية، وتؤكد أن الهوية السكانية لليبيا نتاج مسار تاريخي طويل من التراكم والتفاعل الحضاري.

الخاتمة:

أظهرت نتائج هذا البحث أن الهجرات البشرية، لم تكن عاملا طارئا أو ثانويا في تاريخ ليبيا القديمة، بل شكلت أحد المرتكزات الأساسية في بناء بنيتها السكانية وتطورها التاريخي. فتشير عدة دراسات أثرية وأنثروبولوجية إلى أن شبه الجزيرة العربية تعد من أهم المراكز المبكرة لانطلاق الهجرات البشرية خلال عصور ما قبل التاريخ، ولا سيما خلال العصر الحجري الحديث. فقد أسهمت التحولات المناخية والبيئية التي شهدتها المنطقة، إلى جانب تطور أنماط المعيشة القائمة على الرعي المبكر واستئناس الحيوانات، في دفع جماعات بشرية إلى التحرك غربا عبر المشرق ووادي النيل، وصولا إلى ليبيا القديمة. وقد حملت تلك الهجرات معها ثقافتها وتقنياتها المتميزة، المتمثلة في أنماط الاستقرار وأدوات الإنتاج، والتقاليد الرمزية، مما أسهم في إغناء المشهد الثقافي المحلي، والتفاعل مع المكونات السكانية القائمة، ويعكس هذا الامتداد

الثقافي الدور المحوري لشبه الجزيرة العربية بوصفها مهدا لحركية بشرية كان لها أثر ملموس في تشكيل البنية السكانية والثقافية لليبيا القديمة خلال العصر الحجري الحديث. أسهم الموقع الجغرافي لليبيا القديمة، بوصفه حلقة وصل بين المشرق، ووادي النيل، وليبيا القديمة، وعمق الصحراء الكبرى، في جعلها مجالا مفتوحا لتدفقات بشرية متعاقبة، حملت معها أنماطا ثقافية واقتصادية متنوعة. وتشير الشواهد الأثرية والأنثروبولوجية، مدعومة بالمعطيات البيئية والمناخية، إلا أن هذه الهجرات لم تفض بالضرورة إلى إحلال سكاني كامل، بل غالبا ما اتخذت طابع التفاعل والاندماج مع المكونات المحلية، مما أفرز بنية سكانية مركبة اتسمت بالاستمرارية والتكيف. وقد انعكس هذا التفاعل في تنوع أنماط الاستقرار، وتطور أساليب العيش، وظهور تعبيرات ثقافية مميزة، تمثلت في الرسوم الصخرية والأنشطة الاقتصادية المرتبطة بالبيئة الصحراوية وشبه الصحراوية. وعليه فإن دراسة موضوع الهجرات وأثرها في ليبيا القديمة، تتيح فهما أعمق لديناميات التشكل السكاني بعيدا عن التفسيرات الاختزالية، وتؤكد أن الهوية السكانية لليبيا نتاج مسار تاريخي طويل من التراكم والتفاعل الخضاري.

بيان تضارب المصالح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامش:

- 1- برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، ط.2، دار الفكر، 2001م، ص 4.
- 2- علي، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم، ط.3، بيروت، 1980م، ص 3.
- 3- برو، توفيق، المرجع السابق، ص 43.
- 4- علي، جواد علي، المرجع السابق، ص 156.
- 5- التميمي، رفيق، جو الجزيرة العربية وأثره على الهجرات السامية، د.ط، القاهرة، 1944م، ص 30.
- 6- سوسة، احمد، العرب واليهود في التاريخ-حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، ط.2، العربي للنشر، ص 5.
- 7- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط.2، 2012م، دار الورق للنشر، ص 84.
- 8- موسكاتي، سبينيوتو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الرقي، 1986م، بيروت، ص 50.

- 9-السواح، فراس، الجزيرة العربية مهد اللغة السامية الاصلية، منتدى الشوفان، جريدة الغد، (محاضرة بتاريخ 27. 6. 2017)، زياد العناني، د.ص، عمان.
- 10-العثور على آثار أقدم بالسعودية يعود تاريخها ل 120 ألف سنة، (موقع الخليج أونلاين)، نشر بتاريخ 23.9.2020.
- 11-ميريدث، براند، العثور على أحفورة بشرية في شبه الجزيرة العربية، دراسة منشورة بتاريخ 9. 4. 2018، د.ص.
- 12-ساينس ادفانس، اكتشاف مذهل يوضح طبيعة الربع الخالي قبل 9 آلاف عام، مقال منشور بتاريخ 4. 6. 2025م (موقع العربي الإلكتروني).
- 13-تشوي، شارلزك، شبه الجزيرة العربية كانت حجر "الزاوية" في الهجرات البشرية من أفريقيا بحسب دراسة الجينوم العرق العربي، ترجمة: عبد السلام صبحي طه، موقع لايف ساينس Live Science، تاريخ النشر 14-تشرين الأول 2021م، د.ص.
- 14-السواح، المرجع السابق.
- 15-عبود، ساره حاتم سليمان، المجموعات المهاجرة من شبه الجزيرة العربية وتأثيراتها الاجتماعية والثقافية على سكان المغرب القديم (منذ الالف الخامسة حتى نهاية الالف الأول ق.م)، (رسالة ماجستير)، جامعة طرابلس، تاريخ النشر 2011م، موقع إلكتروني، د.ص.
- 16-الأمير، محمد طه، (علاقة إقليم غرب شبه الجزيرة العربية بشرق أفريقيا حتى نهاية العصر الحجري الحديث)، مجلة البحوث "العلوم الإنسانية والاجتماعية"، ع4، ج1، 2021م، ص61.
- 17-الأمير، مجلة البحوث، المرجع نفسه، ص 62.
- 18-لنتون، رالف، شجرة الحضارة، تقديم محمد السويدي، ج1، موفم، الجزائر، 1990م، ص ص 13،14.
- 19-الأمير، مجلة البحوث، المرجع السابق، ص62.
- 20-لنتون، المرجع السابق، ص 16
- 21-ميريدث، براند، المرجع السابق، د.ص.
- 22-عيسى، محمد علي، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية، ط.2، 2012، منشورات مركز جهاد الليبي، ص 232.
- 23-ديزنج، جيهان، البربر الاصليون، (تاريخ أفريقيا العام)، ج2، جين أفريك-اليونسكو، 1985م، ص ص 432-433.
- 24-عيسى، محمد علي، المرجع السابق، ص 105.
- 25-اكتشاف بقايا بشرية في ليبيا يكشف عن سلالة غامضة عاشت في "الصحراء الخضراء"، موقع زوايا الإلكتروني، 4.4.2025.
- 26-عبود، ساره حاتم، مرجع سبق ذكره، د.ص.
- 27-عيسى، محمد علي، المرجع السابق، ص 70.
- 28-شاهين، علاء الدين، مواقع أثرية في شمال غرب الجزيرة العربية في ضوء الاكتشافات الأثرية، منظمة المجتمع العلمي العربي، تاريخ النشر 1.يناير. 2024م، موقع إلكتروني.
- 29-السعداوي، فاطمة ابوالقاسم، التفاعل الحضاري البوني الروماني وأثره في سكان مناطق الدواخل لإقليم طرابلس (46 ق.م-350م)، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، جامعة طرابلس، 2024، ص 27.
- 30-الجوهري، يسري، الجغرافية الاجتماعية، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، 1998م، ص 97.
- 31-ديزنج، جيهان، المرجع السابق، ص 432.

- 32- جوليان، شارل اندريه، تاريخ أفريقيا الشمالية، ترجمة-محمد مازالي، والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص 68.
- 33-بازمه، محمد مصطفى، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، منشورات مكتبة قورينا للنشر والتوزيع-بنغازي، ط.2، 1972م، ص 108،
- 34-العرباوي، محمد مختار، البربر عرب قدامى، منشورات المجلس القومي لثقافة العربية، د.ط، الرباط-المغرب، 1993م، ص 153.
- 35-السعداوي، المرجع السابق، ص 67.
- 36-الميار، عبد الحفيظ فضيل، دراسة تحليلية للنقوش البونية في إقليم المدن الثلاث في ليبيا، منشورات جامعة الفاتح-طرابلس، الجماهيرية العظمى، 2005م، ص ص 81، 80.
- 37-الميار، المرجع نفسه، ص 145.
- 38-اكتشاف بقايا بشرية في ليبيا، المرجع السابق.